حديث الخنفساء

ذهبتُ فى صباحِ أحدِ الأيامِ إلى منزلِ صديقى سليمٍ، ووجدتُه فى حديقتِهم الواسعةِ مع أختِه لَيْلَى، يَقْطِفَانِ الورد والأزهارَ. فاشتركتُ معهما.

وبينما كنتُ ألتقطُ وردةً سقطتْ منّى على الأرضِ، رأيتُ خُنفساءَ تحبو، فهَمَمْتُ بقتلِها لولا أن رأتْنى ليلى، وكانتْ بالقُربِ منى، فصاحت بى: «قِفْ لا تقتُلْها. بل تعالَ نتأملْها سويًا. وسأسردُ عليك ما سَمِعتُه مِنْ والدى عنها».

وجاءنا سليمٌ على أثرِ ذلك، ودار بيننا الحديثُ الآتى:

قالتْ ليلى «لقد كنتُ مثلَك أعتبرُ الخُنفساءَ حَشَرةً ضعيفةً بليدةً، حتى ذكرَ لى والدى يومًا بعضَ غرائبِ أطوارِها. فعَجِبْتُ لقُدرةِ اللهِ سبحانَه وتعالى.

أتدرى أنّ الخُنفساءَ تُعتبرُ من أبطالِ حَمْلِ الأثقالِ؟ فهى تَفُوقُ أقوى بطلٍ من أبطالِ الناسِ فى هذا المِضْمارِ، إذْ هو لا يمكنُهُ أن يَحْمِلَ أكثرَ من ضِعفِ وزنِه. بينما هى يُمكِنُها أن تَحْمِلَ على ظهرِها أضعافَ وزنِها.

وهل تدرى أن الخُنفساءَ هى مِنْ أبرعِ المخلوقاتِ فى الحفرِ والسّباحةِ والمصارعةِ والوثبِ؟»

لكنى لم أتمالكْ أن قاطعتُها قائلا: «لكنْ يا ليلى، كيف يُمكِنُها أن تفعلَ كلَّ ذلك وهى تكادُ تكونُ محبوسةً فى درْعِها الجامدِ؟»

ليلى: إن هـذا الدِّرعَ الذى تراه جامداً ينفتحُ إذا أرادتْ الخُنفساءُ. وتحتَه جَناحان تَبْسُطُهُما إذا رَغِبتِ القيامَ بحركةٍ سريعةٍ. ثم تعودُ فتُدْخِلُهما تحت الدِّرعِ لحمايتِهما.»

وهنا قاطعَها سليمٌ قائلا: لكن لا تَنْسَىْ يا ليلى أنّ والدى قد قال إنّ للخنافسِ آلافَ الأنواعِ.

وقد تنطبقُ هذه الأوصافُ على بعضِها دونَ البعضِ الآخرِ. فهى تختلفُ فى الحجمِ اختلافًا كبيراً. فلا يَزيدُ أصغرُ الأنواعِ على ثُلثِ رأسِ الدّبوسِ. بينما أكبرُها قد يبلغُ ثمانيةَ عشرَ سنتيمترًا (أى طولَ القلمِ الرّصاصِ الكاملِ تقريبًا). وكما أنها تختلفُ فى الحجمِ فكذلك

الخنفساء

ولا شكَّ تختلفُ فى بعضِ صفاتِها. وهى تعيشُ فى كلِّ بِقاعِ الأرضِ تقريباً. فتختلفُ أنواعُها باختلافِ المناطقِ التى تعيشُ فيها.»

ليلى : « هذا صحيحٌ . فان من أنواعها الجُمرانَ ، الذى كان المصريُّون القدماءُ يُقدِّسونه ، ومنها نوعٌ شرسُ الطِّباعِ ، يهاجمُ أيَّةَ حشرةٍ يراها كما يُهاجمُ الخنافسَ مِنَ الأنواعِ الأخرى . ولذا يُسمَّى « الخُنْفَساءَ النمرَ » . وهناك نوعٌ يدافعُ عن نفسه بأن يُطْلِقَ على عدُوِّه غازاً كريهاً يصُدُّ المهاجمَ عنه . وبعضُ الخنافسِ لا يُمْكِنُها أن تعتدِلَ إذا انقلبتْ على ظهرِها . كما أنَّ البعضَ الآخرَ يُمكِنُه أن يتكمَّشَ وينفرِدَ بسُرعةٍ فيرتفعَ فى الهواءِ ويعودَ إلى وضعه الأصلىِّ . »

سليم : « ومنْ أغربِ ما حكاه لنا والدى أن صاحب مكتبةٍ لاحظ أن خُنْفَساءَ قد حفَرتْ لنفسِها طريقاً مُستقيماً فى سبعةٍ وعشرين كِتاباً ضخْماً ، كانتْ مرصوصةً على رَفٍّ فى مكتبتِهِ . كما أن صيْدَلياً فى أمريكا وَجد بعضَ الخنافسِ فى صيدليَّتِهِ تتغذَّى على المواد السامَّةِ للانسانِ ، ووجَدَ أن أحبَّ شرابٍ إلى تلك الخنافسِ هو زيتُ البترول . »

؟ ؟ ؟

كانَ زكىٌّ صغيراً أعرجَ ذليلَ النفسِ وكانتْ عينُهُ اليمنى مُهشَّمةً وشعرُه قذراً كالحَ الأطرافِ كأنما قد حلَّ به العجزُ من همومِ الحياةِ وأحزانِها .

كانَ « زكىٌّ » ، الكلبُ المسكين ، مُنْزوياً فى أحدِ أركانِ الطريقِ يرتعِشُ من شدَّةِ البردِ حينما رآه « حسنٌ » وهو عائدٌ إلى مَسْكنِهِ ليلاً .

مالَ « حسنٌ » على زكىٍّ وحَمَلَهُ إلى منزلِهِ وهُناكَ غسلَ عينَهُ المهشَّمةَ وربَطها فركعَ المسكينُ أمامَهُ ونظرَ إليه واجفاً دونَ أن يجرُؤَ على الدُّنوِّ منه ولحْسِ اليدِ التى نظَّفتْ عينَهُ وربطَتْها . ولمَّا استيقظَ حسنٌ فى الصباحِ من نومِهِ العميقِ عجِبَ غايةَ العجَبِ حينَ وجدَ فى حُجْرتِهِ كلباً معصوبَ الرأسِ ينظرُ إليه نظرةَ أملٍ وشكٍّ ثم تذكَّرَ ما حصلَ بالأمسِ وقام يطْردُ الكلبَ من منزلِهِ ولكنَّه نظر إليه نظرةً كأنها رجاءٌ واستعطافٌ وحزنٌ عميقٌ فتأثَّر « حسنٌ » لمنظرِهِ وربَتَ (طبطب) على ظهرِهِ وتَرَكَه فى البيتِ

وهكذا تمَّتْ بين الاثنينِ صداقةٌ عجيبةٌ استمرَّتْ سنتينِ بالرغمِ من قُبحِ منظرِ الكلبِ وحُسْنِ مظهرِ سيِّدِه . ورَضِىَ الفتى بحبِّ زكىٍّ ولكنه كان حبّاً فى منتهى الغرابةِ إذْ لم يحاولِ الكلبُ يوماً الاقترابَ من سيدِه أو لَحْسِ يدِه أو لَمْسِ ساقِهِ كما يفعلُ غيرُهُ من الكلابِ بل كان دائماً يقِفُ منه على بُعْدٍ وعيناه تَرْقُبانِ هذا الصديقَ وفيهما كلُّ معانى الوفاءِ والاخلاصِ .

وأخيراً مَرِضَ « زكىٌّ » ولم يكنْ بالمدينة مستشفى

للكلاب فعزم الفتى على إغراقه فى النهر. وفى ذات مساء عند ما أظلم الليل سار «حسن» ومعه «زكى» إلى شاطئ النهر وكان الظلام حالكاً والهواء شديداً وهناك ربط حسن حجراً فى رقبة الكلب ثم قذف به فى الماء. كل ذلك وزكى لا يسمع له صوت ولا أنين. ولكن الفتى أحس بتأنيب الضمير عند ما سمع صوت جسمه يرتطم بالماء فأطل واجماً يستطلع مصير هذا المسكين. وفى هذه الأثناء هبت الريح فأطارت طربوشه وقذفت به فى الماء وكان هذا الطربوش جديداً لم يلبسه «حسن» قبل ذلك اليوم فحملق فى الماء يبحث عنه ولكنه لم يتبين شيئاً فعاد إلى بيته كئيباً كاسف البال لفقد طربوشه الجديد. وآوى إلى فراشه مضطرباً يحاول النوم ولكنه بعد ساعة سمع خربشة بالباب فهرول وفتحه فاذا رأى؟ رأى «زكيًا» على العتبة وبين أسنانه الطربوش وكان الكلب المسكين يلهث من التعب والماء يقطر منه مختلطاً بدمائه. فركع «حسن» يربت عليه والدموع تنهمر من عينيه ونظر

«زكى» لسيده للمرة الأخيرة نظرة حزينة ثم تنهد وسقط على الأرض لا حراك به.

مسابقة

هذه القصة ليس لها عنوان كما ترى. وقد تركنا لك أنت أن تختار لها العنوان اللائق بها وترسله إلى سمير التلميذ بمعهد التربية بالجيزة، وأن تكتب على الظرف كلمة (مسابقة)

وستعطى جوائز حسنة لمن يعطون أحسن الاجابات. ونحن لا نشك فى أنك ستعتمد على نفسك فى هذا كل الاعتماد وسترفض أى مساعدة من أى شخص آخر